٩٩/٤/١٤٨

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ٨٠٢١
التاريخ ١٥/ ٢/ ٢٠١٤

مجلة الإنماء العربي للعلوم الانسانية

الفكر العربي

تصدر عن معهد الإنماء العربي في بيروت

العدد الثاني والثلاثون نيسان (ابريل) - حزيران (يونيو) ١٩٨٣ السنة الخامسة

مستشارو التحرير

د. علي بن الأشهر — د. إحسان عباس — د. شكري فيصل

الشيخ عبد الله العلايلي — د. عمر التومي الشيباني — د. عبد السلام المسدي

د. مصطفى التير — د. معن زيادة — د. إبراهيم رفيدة

رئيس التحرير
رضوان السيد

المدير المسؤول عوض شعبان

العنوان

معهد الإنماء العربي
بيروت - لبنان

ص.ب المجلة : ١٤/٥٥٦٤ ص.ب المعهد : ١٤/٥٣٠٠

الهيئة القومية للبحث العلمي
طرابلس ص.ب ٨٠٠٤
الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

الثمن : ٢٠ ل.ل. أو ما يعادلها

تأثير الاسلام في أوروبا في العصر الوسيط*

مونتغومري واط

مراجعة د. محمد شفيق شيّا

ما مدى تأثير الاسلام في الحياة الاوروبية الغربية الوسيطة؟ ما هي حدود إسهام الثقافة العربية الاسلامية في نشأة فلسفة أوروبا وعلومها الحديثة وباقي جوانب ثقافتها؟ وكيف أفادت أوروبا من مجاورة المسلمين في الأندلس وصقلية تحديداً؟

تلك هي أهم الأسئلة التي يحاول **مونتغمري واط** توفير أجوبة موضوعية لها. الأسئلة والموضوعات تلك، هي في الأساس، محور سلسلة من المحاضرات التي ألقاها السيد واط في كانون أول/ديسمبر (١٩٧٠)، في باريس، بدعوة من «الكوليج دي فرانس» (Collège de France)، والتي تناولت دور الاسلام، عموماً، في دفع عربة النهوض، الاوروبي في أواخر القرون الوسطى.

لا تقوم أهمية هذا الكتاب، في كونه يضيف إضاءة قوية لقنوات التواصل الثقافي الاسلامي الاوروبي وحسب، وإنما في تفنيده لمزاعم الاستعلاء الثقافي التي تبرز لدى بعض المؤرخين الأوروبيين، وفي تأكيده بالمقابل على الأثر العربي الاسلامي العميق في حفز النهوض الأوروبي، وفي توفير أدواته الايديولوجية والعلمية. ويتميز الكتاب، بالإضافة إلى المضمون، بلغة أكاديمية دقيقة، رصينة، تستنتج بمقدار ما تملك من مقدمات ومعطيات ووقائع.

يتألف الكتاب من ستة فصول، و«ملحق بالكلمات الانجليزية المشتقة من العربية». الفصل **الأول**، يتناول الحضور الاسلامي في أوروبا؛ **الثاني**، التجارة والتكنولوجيا؛ **الثالث**، إنجازات العرب في العلم والفلسفة؛ **الرابع**، الصليبية واستعادة اسبانيا؛ **الخامس**، العلم والفلسفة في أوروبا؛ **والسادس**، الاسلام والوعي الاوروبي للذات.

١ . العرب في اسبانيا وجنوب ايطاليا

في الفصل **الأول**، يتناول المؤلف القصور الذي شاب تصور معظم المؤرخين الاوروبيين لماهية العلاقة بين الاسلام وأوروبا في القرون الوسطى؛ علاقة نشأت بفعل اقتراب العرب من أوروبا في حملات الدعوة والفتح، ثم دخولهم الأراضي الاوروبية من جهتي الغرب والجنوب. بدأ الوجود العربي الاسلامي في اسبانيا بحملات عسكرية متلاحقة، بدءًا من سنة (٧١١ م)، أمكن لها في حدود سنة (٧١٥ م). أن تسيطر على جميع المدن الاسبانية الهامة، وعلى شمال شبه الجزيرة الايبرية، وصولاً إلى

(*) **تأثير الاسلام في أوروبا العصر الوسيط**، مونتغمري واط. ـ مطبعة جامعة أدنبره، أدنبره ١٩٧٢. وقد ظهر الكتاب بالعربية بدار الشروق ببيروت (١٩٨٣) من ترجمة حسين أحمد أمين؛ بعنوان: فضل الإسلام على الحضارة الغربية.

تحت تأثير رازين، تمكّن العالم الروسي الاختصاصي بالشؤون الاسبانية **بيتروف** (١٨٧٢ - ١٩٢٥)، أن يدرس اللغة العربية وهو في سن متقدّم. ألقى سلسلة من المحاضرات عن « الأدب العربي في اسبانيا » وكتب عدة مقالات عن التأثير والتأثر المتبادل بين الأدب العربي والاسباني، كما أنه نشر كتاباً في العام (١٩١٤)، عن « ابن حزم »[٧٤].

إن كل هذه الأمثلة التي أوردنا، إن دلّت على شيء إنما تدل على أن مدرسة الاستشراق الروسية تطوّرت عمودياً وأفقياً. إن أعمال غرغس ورازين وسنكوفسكي وفرين وغيرهم، تعمقت في دراسة التراث العربي والمخطوطات العربية. كما أن إيجاد كوادر علمية مختصة بدراسات الشرق في مناطق متنوعة، أدّى إلى انتشار مدرسة الاستشراق وإلى فتح فروع لها في أكثر من قومية روسية. ونحن،، وإن توقّفنا مطوّلاً عند مدرسة بطرسبورغ في الاستشراق والاستعراب، ذلك لكونها كانت تحتل في الواقع مركز كل النشاطات العلمية في كافة الميادين، بما فيها علم الاستشراق. غير أن هذا لا يعني إطلاقاً، بأنه لم يكن للفروع الأخرى للاستشراق الروسي أية مساهمة في إغناء المدرسة الروسية وفي كشف جوانب متعدّدة من التاريخ الادبي والثقافي العربي. فأعمال بعضهم وصلت إلى مستوى من الرصانة والبحث العلمي الموضوعي الجاد، جعلها تحتل مكانة مرموقة في التاريخ الثقافي للشعب السوفياتي.

★★★

بعد افتتاح الكلية الشرقية للغات، التي كانت بمثابة التحوّل النوعي في مسيرة الاستشراق الروسي في بطرسبورغ، وروسيا عامة، شهدت بقية المدن الروسية تقدّماً ملحوظاً في هذه المسيرة؛ وفي كل مدينة، كانت حركة الاستشراق تسير بخطى مميّزة تقريباً، عما هي عليه في المدن الأخرى، وهذا ما سنحاول استعراضه وتقويمه في كل من موسكو وقازان، حيث كانتا المدينتين الرئيسيتين بعد بطرسبورغ. أعطتا أعمالاً ومستشرقين كانت لهم أهمية كبرى في إغناء الاستعراب والثقافة الروسية بأسرها.

ركدت حركة الاستعراب في موسكو فترة من الزمن، بعد ابتعاد أهم رموزها **بلديريف** عن الدراسات الاستشراقية، بيد أن تراث بلديريف، منذ أواخر القرن الثامن عشر وحتى بداية القرن التاسع عشر، لم يذهب سدى. فلقد ساهم بتكوين تقاليد خاصة للاستشراق الروسي تابعها من بعده تلامذته.

في الواقع، لم يُبدأ بتعليم اللغة العربية في قسم اللغات الشرقية التابع لجامعة موسكو إلاّ في العام (١٨٥٢)، على يد تلميذ بلديريف المستشرق الاختصاصي في الهند **بيتروف** (١٨٦٤ - ١٨٧٥)، لقد بدأ هذا المستشرق بتدريس العربية، وهو شاب، وتميّز بموهبته اللغوية بسعة اطلاعه بالثقافة الهندية والعربية[٧٥]. بيد أن الوسط

المحيط به من الانتلجنسيا الموسكوفية لم يساعده، كما هو الأمر بالنسبة لاستاذه بلديريف، من متابعة تعمُّقه في دراسة التراث العربي وفي تعليم العربية. لذا، فإنه على ما يبدو لم يترك اعمالاً مكتوبة كثيرة في هذا القبيل؛ إلاَّ أن علاقة الود والاحترام المتبادل، التي كانت تربطه بالمستشرق بيتروف وبالناقد الروسي الكبير بلينسكي، أثمرت عن أعمال مشتركة للاثنين تمثَّلت بترجمة العديد من الروايات الاوروبية الغربية إلى الروسية. لقد ساهم بيتروف في توجيه الكتَّاب والباحثين لدراسة قضايا الشرق والحضارات العريقة فيه. هذا، ومن خلال صداقاته الواسعة مع كبار الكتَّاب الروس في موسكو وقازان وبطرسبورغ، تمكَّن من إقناع العديد من الروائيين والبحَّاثة في اختيار مواضيع تتعلَّق بشخصية الشرق وخصائص تركيز ثقافته. ساهم في كتابة مقالة علمية خاصة عن الثقافتين العربية والهندية، في الكتاب الذي صدر تكريساً للذكرى المئوية لتأسيس جامعة موسكو في عام (١٨٥٥)، وحمل العنوان التالي: «مواد حول تاريخ الأبجديات الشرقية والإغريقية والرومانية والسلافية». واشتهر أيضاً بمحاضراته المطوَّلة، التي ألقاها في جامعة موسكو في العام (١٨٦٢) حول اللغة والأدب العربيين[٧٦].

في أواخر الستينات توقَّف قسم اللغات الشرقية عن العمل لفترة من الزمن، غير أن الاهتمام بالتراث العربي لم يتوقف؛ ففي هذه الفترة، برزت محاولات جادة حول هذا الموضوع تمثَّلت بالدراسات النقدية وبالترجمات. لعلَّ أبرزها، الدراسة المفصَّلة والمعمَّقة للكاتب الروسي **كازادييف**، نشرها في أربعة مجلدات عام (١٨٧٧)، تحت عنوان: «ألف ليلة وليلة ـ أساطير عربية محورة باللغة الشعرية الروسية» لـ ف. أ. **كازادييف**[٧٧].

في عام (١٨٧٢)، تم افتتاح قسم «الدروس الخاصة» التابع لمعهد لازارسكي للغات الشرقية. وضع هذا القسم في أولى مهامه تحضير كوادر خاصة للعمل في بلدان الشرق. وظل يلعب الدور الأساسي ـ مع غياب الأقسام الأخرى المختصة باللغات الشرقية عن العمل ـ لمدة خمسة عشر عاماً، إلى أن تأسست «اللجنة الشرقية» التابعة لمعهد الارشيف الموسكوفي في العام (١٨٨٧)[٧٨]. لم تشهد هذه الفترة أيَّ نشاط للمستشرقين والمستعربين الروس، ولكن وجود عالم عربي من دمشق تمكَّن من سد الثغرة ومن إحداث ضجة ثقافية وسط المستشرقين الموسكوفيين؛ هذا العالم هو غ. أ. **مرقص** (١٨٤٦ - ١٩١١)، الذي أصبح ألمع البروفسيرية في معهد لازارسكي. وعلى ما يبدو، فقد أنهى دراسته العليا في الكلية الشرقية للغات في بطرسبورغ. وقد صادق هناك رازين، أعطى عصارة وعيه وخبرته اللغوية وثقافته العربية لطلاَّبه ومعاصريه من المستعربين الروس: تمكَّن، على النقيض من سلفه شيخ طنطاوي، من كتابة مجموعة من الدراسات الفكرية والسياسية واللغوية رفعت مكانته إلى مستوى كبار رجالات العلم الاستشراقي الروسي. أبرز دراساته: «حول وضع المسيحيين في الشرق» - (١٨٧٧)، في هذه الدراسة ركّز على وضع المسيحيين الثقافي والسياسي والديني ودعا الكنيسة الارثوذكسية

الصحراء، وإنما هم إما من مكة، المركز التجاري، أو من المدينة، الحاضرة الزراعية» (ص ١٥) إلى ذلك، فقد شجع الاسلام التجارة، وأسهم في قيام المناخ المؤاتي لها، «بل إن جماعات كثيرة في جنوب شرق آسيا وفي شرق افريقيا وغربها، إنما تحوّلت إلى الاسلام من خلال جهود التجّار أساساً». (ص ١٥).

ويجد المؤلف سنداً آخر، لموقفه من موقع التجارة في الاسلام، في الروزنامة الاسلامية التي تجعل سنتها في اثني عشر شهراً قمرياً (٣٥٤ يوماً) دونما أية علاقة بالنظام الشمسي وفصوله الثابتة، أي «أنها تخلو من أية فائدة بالنسبة للفلاح»؛ وذلك خلاف كثير من الأديان التي ارتبطت بمجتمعات فلاحية.

يمكن بالطبع إخضاع، فكرة «مونتغمري واط» هذه للنقاش، وتبيان عجزها عن امتلاك الأساس المنطقي والتاريخي الكافي. لقد شجع قيام الدولة الواحدة المترامية الأطراف التبادل التجاري، وهو أمر طبيعي لاحق بالاسلام، مثلما يلحق أية عملية توحيد كبرى. أمّا كون معظم المسلمين الاوائل من التجار، فأمر يعود إلى ثقافة الاوساط التجارية النسبية، وإلى المرونة التي يتحلّى بها العقل التجاري إذا قيس بعقل البدوي. ثم إن في الموروث العربي، قبل الاسلام، موقفاً خاصاً من العمل اليدوي ينسحب بالتأكيد على الزراعة، موقف لا يد للاسلام فيه ولا يستطيع بالتأكيد اجتثاث جذوره التي تضرب عميقاً في الذهنية العربية.

في مسألتي العلم والفلسفة يستعيد «واط» السؤال الاساسي: «إلى أيّ مدى كان العرب مجرَّد نَقَلة لما اكتشفه اليونانيون. وما مدى اسهامهم الأصيل في ذلك؟»

وفي محاولته لتشكيل إجابة موضوعية، يسوق سلسلة طويلة من التجديدات والاختراعات والانجازات التي أبدعها العرب، أو أحسنوا، توظيفها، والتي انتقلت إلى الثقافة الأوروبية. يبدأ المؤلف بمسألة إتقان العرب لاستخدام «الصفر»، الذي ربما كان قد وجد لدى الهنود، إلاّ أنه لم يستخدم بهذا الاتقان إلاّ مع العرب. واستخدام «الصفر» هو الذي جعل العملية الحسابية أيسر منالاً وأشمل فائدة. وفي إطار الرياضيات، يتوقف المؤلف عند **الخوارزمي** الذي يعرف في الأدبيات اللاتينية بـ (Algorismus)، الذي عمل في بيت الحكمة أيام المأمون، وكان له ترجمات وتآليف في الفلك والجغرافيا والرياضيات، حيث تقوم شهرته الواسعة «في وضعه أسس علم الجبر، حيث اشتقت الكلمة نفسها من إسمه». وكما في الرياضيات، كذلك في الطب. أفاد العرب في بداية عهدهم بالفتح من التراث المشرقي القائم في العراق وبلاد الشام وبخاصة في جنديسابور حيث مدرستها الطبية المشهورة. وقد ثمّن العرب بوضوح أهمية المضمون العلمي الوضعي في الطب، فبذلوا فيه جهدا نظرياً وعملياً بلغ ذروته في تأسيسهم أول مستشفى في بغداد سنة (٨٠٠ م)، بأجنحة متخصصة مختلفة. ولن نُدرك قيمة هذه الانجازات المبدأية إلاّ في اطار مقارنتها بمستوى الطب في أوروبا آنذاك، حيث كانت الأمراض تُرد إلى «الشيطان الساكن في الأجساد» (ص ٦٥). ومع ترجمة أعمال «جالن» و«ابقراط» الطبيّة إلى العربية مباشرة، «فقد الاطباء الأوائل، أطباء جنديسابور، احتكارهم للطب، وبلغ مسلمون عديدون مستوى فاقوا به أساتذتهم (النسطوريين) **وكانوا، إلى حد ما، في مستوى أعظم أساتذة اليونان**» (ص ٣٧).

بين هؤلاء جميعاً، نكتفي بذكر «**أبي بكر الرازي**»، الذي ترك عشرات من الاعمال الطبية الكبرى، «والتي ترجمت إلى اللاتينية واليونانية والفرنسية والانجليزية». كذلك نذكر «**ابن سينا**» ـ الشيخ الرئيس، الذي يذكر، بين كثير ما ترك، كتاب «القانون في الطب» الذي ينقل «واط» عند «مايرهوف» قوله فيه: «إنه ذروة المنهجة العربية وآيتها»، «ترجم الكتاب إلى اللاتينية في القرن الثاني عشر، واستمر سائداً تعليم الطب في أوروبا، حتى

نهاية القرن السادس عشر على الاقل؛ وكان له ست عشرة طبعة في القرن الخامس عشر، إحداها في العبرية. وأعيد طبعه عشرين مرة في القرن السادس عشر، وأكثر من ذلك في القرن السابع عشر. وكان له شروحات لا تُحصى باللاتينية والعبرية وغيرها...» (ص ٣٨).

ورغم أن الحاجة الطبيعية الزمت المسلمين أن يبدأوا بالفلك والطب، إلاَّ أن شهرة المسلمين الأوسع إنما تنسب إلى ما تركوه في ميدان الفلسفة. بعد أن يمر المؤلف بنقل الأعمال اليونانية الفلسفية إلى العربية وبجهود المعتزلية الكلامية والجهد الفلسفي الحقيقي عند الكندي، يصل إلى مرحلة الأعمال الفلسفية العربية الكبرى، فيقول: «لقد انتجت الفلسفة العربية اثنين، يمكن اعتبارهما بين أهم فلاسفة العالم، **الفارابي** (ت. ٩٥٠ م)، **وابن سينا** أو (Avicenna) (ت. ١٠٣٧ م)». (ص ٤١).

ويستكمل «واط» مسيرة الفلسفة العربية في المغرب إلى أن يصل إلى **ابن رشد** أو (Averros)، «ورغم أن ابن رشد لم يضع أو يبني نظاماً خاصاً (أو تصوراً خاصاً للكون) إلاَّ أنه كان أولاً وأخيراً شارحاً كبيراً لأرسطو».

ويخلص المؤلف من استقرائه تاريخ العلم والثقافة عند العرب إلى تعميم على درجة كبيرة من الوضوح والأهمية، إذ يقول: «حين يصبح الانسان على بيِّنة من كامل التجربة العربية، التفكير العربي والكتابة العربية، فإن المرء ليقول إنه لولا العرب لما كان لعلم أوروبا ولفلسفتها أن يتطورا في اللحظة التي تطورا فيها. لم يكن العرب مجرَّد نَقَلة للفكر اليوناني، وإنما حملة أصليون... وحين أصبح الاوروبيون في حدود سنة ١١٠٠ مهتمين حقاً بالعلم والفلسفة... كان عليهم أن يتعلموا كل ما يمكنه تعلمه من العرب، قبل أن يتمكَّنوا هم أنفسهم من تحقيق خطوات إلى الامام». (ص ٤٣).

٣. أثر العرب في النهضة الاوروبية

في **الفصول الثلاثة** الأخيرة، يخلص «مونتغمري واط» إلى دراسة الآثار التي تركها وصول العرب إلى اسبانيا وصقلية في الوضع الاوروبي الغربي آنذاك، كما يحلِّل جملة الاستجابات الاوروبية للمد العربي الاسلامي الذي كان يطرق أبواب قلب القارة.

كانت أوروبا، لحظة وصول العرب الى اسبانيا في القرن الثامن، ومن ثمة إلى صقلية وجنوب ايطاليا، ترقد عميقاً في ما شاعت تسميته بـ «ظلام القرون الوسطى». كانت القرون الوسطى آنذاك في ذروتها، فالقارة تجثو ساكنة دون حراك تحت سلطة أسياد الأرض من جهة، وسلطة الآباء الروحية من جهة ثانية، لقد صُمِّم العالم كما أراد الآباء، ولم يكن هناك من داع للالتفات إلى الأرض، لا علماً ولا ثقافة ولا سياسة بالطبع، لأن العالم الحقيقي هو في السماء، وليس على الأرض، وهو وحده يستحق العناية والجهد والاخلاص.

لذلك كله، كان وصول العرب إلى أبواب القارة عاصفة هزَّت البنى الثابتة الراقدة، وبعثت الحياة في ذلك السبات الذي لم يكن دون الموت بكثير. وإذا كان وصول العرب، والفتح الاسلامي الملازم له، قد أحدث شرخاً كبيراً وأنزل هزيمة واضحة بالعالم الاوروبي، السياسي والديني، إلاَّ أن ذلك استحال، كما أثبت التاريخ، عاملاً ايجابياً بالغ القيمة في دفع عملية النهوض الأوروبي إلى الامام. لقد كان ذلك تحدياً مباشراً على جميع الصعد، الدينية والسياسية والقومية والعسكرية والثقافية والحضارية عموماً؛ وكان طبيعياً أن يستثير ذلك التحدي ردات فعلٍ أوروبية مقابلة، وفي مختلف الميادين تلك، شكَّلت في الواقع المقدمات الأولى لعملية النهضة التي ستتراكم عناصرها بدءًا من القرن الثاني عشر. كانت أولى ردود الفعل ـ يقول المؤلف ـ «على الصعيد العسكري، أخذت ردود الفعل شعار استعادة اسبانيا من جهة، والحركة الصليبية في غرب أوروبا عموماً».

نتوقف بالطبع عند هذا القول، لنسجِّل أنه فيما لو صح أن استعادة اسبانيا كانت شعاراً عاماً، مع أن في ذلك شكاً

عجلة الاستعراب خطوات كبيرة إلى الأمام، بعد قيام ثورة أوكتوبر، وهذا ما سنتناوله في الدراسات القادمة.

أمَّا في قازان، فلم تتقدَّم حركة الاستعراب بعد أن رحل عنها العالم الكبير فرين، إذ ظهرت بعده أسماء كثيرة لم تترك أيّ أثرٍ ملحوظ في تاريخ الاستعراب؛ وكادت هذه الحركة تنهض من ركودها عندما عمل بها المستشرق الكبير **كاظم بيك** في العام (١٨٢٦)، إلاَّ أنه لم يستمر في جامعة قازان، بعد تركه اياها مختاراً بطرسبورغ.

فقط في الاربعينات من القرن الماضي، بدأت حركة الاستعراب بالتحرُّك، وذلك نتيجة نشاط عدد من المستعربين، أبرزهم: **غاتفيلد** (١٨١٣ - ١٨٩٧)، الذي ربطته علاقة صداقة وطيدة مع الطنطاوي. ففي عام (١٨٤٩) ترأس قسم اللغات الشرقية في جامعة قازان، وكتب فيها مجموعة من الدراسات العلمية، منها: «مشروع قاموس عربي روسي عن القرآن» - (١٨٦١)، وترجم «المعلقات السبع وأشعار عمر بن الخيام» - (١٨٦٣)؛ وأعد عملاً هاماً - استفادت منه، ولمدة طويلة، جامعة قازان - عن «المخطوطات العربية». أدخل في تلك الفترة المطبعة العربية إلى قازان، وأسس مكتبة كبرى ضمَّت مجموعة لا بأس بها من الكتب والمخطوطات العربية، وكتابات عن «القانون الاسلامي» الذي ساهم هو نفسه في التعليق عليه[٨٤].

بعد غاتفيلد، حاول **ألمينسكي** أن يعطي كل ما يملك من مواهب لغوية وعلمية لجامعة قازان، إلاَّ أنه لم ينجح في ذلك، فهو على الرغم من إلمامه الواسع والعميق باللغة العربية وبالاسلام، لم يُترك له المجال للعمل بحرية في هذا الموضوع. لقد درس في الأزهر على يد الاستاذ **ابراهيم الدسوقي**، حيث حفظ القرآن عن ظهر قلب، وقطع سيناء متجهاً إلى فلسطين وسورية ولبنان، وتعرَّف على شعوب هذه البلدان وعاداتها وتقاليدها وديانتها. زار تركيا أيضاً، وكوَّن من جرّاء ذلك حصيلة هامة من المعرفة اللغوية والدينية، قلَّما وصل إليها مستشرق في عصره. غير أن إدارة الجامعة كانت توجِّهه دائماً لتدريس تاريخ الفلسفة والأديان. بكلمة، لم تستفد الجامعة من طاقاته الغنية والمتنوعة، فاضطر بعد ذلك مرغماً إلى ترك الجامعة، والتفرّغ لكتابة الأبحاث والمقالات العلمية عن الاسلام في تركيا والعالم العربي، لم يبق منها إلا كتابه الذي نشره في قازان عام (١٨٥٤) عن «ابن الأثير»[٨٥].

في العام (١٨٥٨)، عندما ترك المينسكي الاكاديمية، خلفه **سابلوكوف** (١٨٠٤ - ١٨٨٠)، الذي تعلم في الاكاديمية اللاهوتية الموسكوفية، من عام (١٨٢٦ - ١٨٣٠). درس بعدها العبرية والعربية، وتمكَّن في قازان أن يفرض نفسه كعالم اختصاصي في اللغات الشرقية، إلاَّ أنه لم يتمكَّن، ولفترة طويلة، من التركيز على دراسة لغة من اللغات أو أدب من الآداب، فكانت الجامعة تدعوه تارة لتعليم التترية والإغريقية، وتارة أخرى

لتعليم العبرية والعربية . فكان يعطي كل اسبوعين ساعة فقط للغة العربية ؛ قدم استقالته بعدئذٍ ، وانصرف لترجمة القرآن عن العربية ؛ لم يتمكَّن من ترجمته حتى النهاية . في العام (١٨٩٧) ، كتب بحثاً « ملحق لترجمة القرآن » ؛ وفي العام (١٨٨٤) ، نشر كتاباً آخر حمل العنوان التالي : « شهادات عن القرآن والأسس القانونية للديانة المحمدية » تناول فيه رؤية المسلم لدينه وللحياة والمجتمع ، محلّلاً الخصائص الفكرية والميثولوجية للقرآن . مما لا شك فيه ، أن لسابلوكوف الدور الأساسي في دراسة الشرق والاسلام معاً . وبقي التراث الذي تركه مرجعاً أساسياً لكل الذين أتوا من بعده ، ودرسوا العربية وتاريخ الاسلام في قازان[٨٦] .

فيما بعد ، اشتهر تلميذه **مالوف** (١٨٣٥ - ١٩١٨) ، في تدريس اللغة العربية والتترية والعبرية ، وكان الموضوع الأساسي الذي تمحورت أبحاثه حوله ، هو الجدل والنقاش مع المفكرين المسلمين . دراساته المتنوّعة حول الاسلام ، والتي نشرها في مجلات متعددة في قازان وبطرسبورغ ، تميَّزت بالتناول الموضوعي العلمي ، ممَّا أكسبها تقدير كبار رجالات الاستشراق الروسي في ذلك العصر . وفي معرض تعليق رازين على هذه الدراسات ، قال : « إن مالوف لؤلؤة صغيرة ، وكاتب جاد تُعلَّق عليه الآمال »[٨٧] . على ما يبدو أن أعماله لم يبق منها حتى الآن ، أيُّ شيء يذكر .

في عام (١٨٧٨) ، عمل البروفسور **ماشانوف** في تدريس اللغة العربية في جامعة قازان . كتب سلسلة مقالات عن الاسلام وحياة المسلمين ، في شبه الجزيرة العربية . وفي القاهرة ، وكانت هذه المقالات عبارة عن الانطباعات التي حملها بعد رحلته ، التي استغرقت سنتين في الحجاز والقاهرة ، كما أنه كتب عن وضع « المسيحيين الاوروبيين في المشرق العربي » - (١٨٨٩)[٨٨] .

بيد أن ألمع الشخصيات العلمية التي برزت في قازان في أواخر القرن التاسع عشر ، كان العالم العربي الفلسطيني **بندلي الجوزي** (١٨٧١ - ١٩٤٢) ، الذي تابع تعليمه العالي في جامعة قازان ، قبل أن يستقر نهائياً في روسيا . عاش متنقلاً بين قازان وبطرسبورغ وباكو وفلسطين . في العام (١٨٩٩) ، دافع عن أطروحة الدكتوراه التي كانت حول « تعاليم المعتزلة » . وفي العام (١٩١٤) ، كتب مقالة عن « القرآن » ، ثم نشرها في « الانسكلوباديا اللاهوتية الاورثوذكسية » . وفي العامين (١٨٩٨ - ١٨٩٩) ، أعد كتاباً مدرسياً للعرب ، عن كيفية « تعلم اللغة الروسية » . وفي العام (١٩٠٣) ، أعد « القاموس الروسي - العربي » ، الذي كان يعتبر عن حق - في عصره - من أفضل القواميس التي كانت موجودة . في العام (١٩١٦) ، حاضر **الجوزي** في جامعة قازان حول القوانين والحقوق الاسلامية . خاض ، في جامعة قازان وبين الأوساط العلمية الروسية ، نضالاً حقيقياً ضد العلماء المستشرقين المتأثرين بأنصار ما يسمى بـ « المركزية الاوروبية » ، وأكد على أهمية الحضارة العربية ، كما أنه كان من الأوائل الذين سلَّطوا الأضواء على النزعات المادية في الفلسفة العربية الاسلامية . بعد قيام ثورة